جعنون ، جازيت ، جفعات عز ، هرئل ، لهفوت حفيفاه ، ماجن ، مجدو ، نحشون ، نحشونيم ، نيريم ، نيريتزحاق ، راموت منشه ، رفاديم ، رشافيم ، ساريس ، ساسا ، شومراه ، يسمور ، زبقيم . وهذه تشكل اكثر من ثلث الكيبوتزات التي يملكها المابام اليوم ! والكاتب ذاته الذي يكتب عن « القفار المعادية » يعيش اليوم في يسمور التي انشئت في العام ١٩٤٩ . وتبين الاحصاءات التي يوردها في كتابه ان مساحة الاراضي المزروعة التي تملكها حركات الكيبوتز مجتمعة ازدادت بين ١٩٤٧ و١٩٥٢ بنسبة ٣١٧،٣٪ وان الدخل المشترك للكيبوتزات ازداد بنسبة ٤٨٤،٧٪(١٣). انه لامر عجيب كيف يمكن للمرء ان يجعل القفار تينع بسرعة اذا ما بذل جهدا في سبيل ذلك وكان اشتراكيا !

ليس الكيبوتز في الواقع تعبيرا عن الاشتراكية البروليتارية بل هو تعبير عن المثالية البورجوازية الصغيرة، المتأثرة بالاتجاهات الشوفينية والاستعمارية والاشتراكية الطوباوية والماركسية في اوروبا القرن التاسع عشر . ويمكن بشكل عام النظر الى الحركة الصهيونية على أنها رد فعل البورجوازية الصغيرة اليهودية تجاه الاضطهادات التي كانت تقف بينها كطبقة وبين متابعة التطور الرأسمالي . ففي روسيا مثلا ، كان تطور هذه الطبقة معاقا بفعل الامبريالية الاوروبية الغربية وكذلك بفعل الاضطهاد المباشر الذي كانت تتعرض له من النظام القيصري . اما في فلسطين ، فقد أنشأت هذه البورجوازية الصغيرة وطورت مؤسسات جعلت بامكانها صيانة مصالحها ، وأول هذه المؤسسات هو الهستدروت ، الاتحاد العام للعمال اليهود ، الذي سرعان ما أصبح الاطار الرئيسي للمشروع الاستعماري ، والذي « خلق » في الوقت ذاته « بروليتاريا يهودية » (لمصلحة البورجوازية الصغيرة) وبدا كأنه ممثل هذه البروليتاريا وموظفها في آن معا . واليوم يملك الهستدروت الجزء الاكبر من الصناعة الاسرائيلية والبنوك وشركات الشحن البحري والخطوط الجوية وشركات البناء ، وهو كذلك يشارك رأس المال الخاص في ملكية مشاريع في معظم المجالات في اسرائيل — وفي الوقت ذاته يعين الهستدروت من يشغلون المناصب الرئيسية في النقابات .

١٣ — ليون، المصدر السابق، ص ٥٠ وص ٢٠٦ .

كانت حركة الكيبوتز منذ البداية متحالفة مع المنظمات التي خلقت الهستدروت ، وكذلك مع الوكالة اليهودية التي كانت قبل العام ١٩٤٨ تلعب دور « الحكومة » الصهيونية ، والتي كانت تسيطر من بين أمور أخرى على الموارد المالية التي تتم جبايتها . لقد كان الكيبوتز في الواقع اكثر ادوات الاستيطان الصهيوني مهارة . وكما تنشأ الكيبوتزات اليوم في الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧(١٤)، كانت تنشأ دوما على حدود المنطقة التي يسيطر عليها الصهيونيون في مرحلة معينة . وكان الاستيطان يقوم على المعونة الاقتصادية والادوات التي تقدمها الاجهزة الاستعمارية الرئيسية التي أدركت في وقت مبكر اهمية « روح الريادة » والوحدة المتينة التي يتمتع بها الكيبوتزيون . « وكان يجري اختيار الاعضاء (في الكيبوتز) بعناية فائقة . فكانوا رجالا ونساء يتمتعون بروح معنوية اشتراكية رفيعة »(١٥). وقد كانت الجماعات المتماسكة تستطيع الصمود في وجه « القفار المعادية » بطريقة اكثر فعالية من تلك التي يستطيعها مستوطنون لا تجمع بينهم ايديولوجية مشتركة وروح معنوية مشتركة — مثلا عندما دعت الحاجة الى بناء اول موقع للدفاع الليلي والبدء في الزراعة بحماية البنادق . ان الكيبوتزات بالنسبة لاسرائيل كاسرائيل بالنسبة للامبريالية الاميركية : قلاع بفعل تركيبها الداخلي الصلب أفعل بكثير من أي قوات تستخدم مؤقتا . « كانت الكيبوتزات توسع وتحمي حدود المستوطنة في وجه الهجمات العربية والعداء البريطاني ... »(١٦). « يوجد ٦٠٪ من الكيبوتزات على حدود اسرائيل ، وهذه المستوطنات تلعب دورا هاما في النظام الدفاعي الاسرائيلي . فالكيبوتزات ، كمستوطنات متماسكة على الحدود ، تشكل في الوقت ذاته عناصر مدنية قوية وحيوية في شبكة الدفاع الاستاتيكي الاسرائيلي وتمنح لقوات الدفاع الاسرائيلي حرية حركة تستطيع بها الدفاع عن الحدود »(١٧). « ولد عدد كبير من

١٤ — N. Weinstock: Le Sionisme Contre Israel, Paris 1969, p. 512.

١٥ — Issac Deutscher: The None Jewish Jew, London: Oxford University Press, 1968.

١٦ — ليون ، المصدر السابق ، ص ١٨ .

١٧ — نيو اوتلوك ، كانون الثاني ١٩٧٠ ، ص ٢١ — ٢٢ .